Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human and Social Sciences

مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

التاريخ الوطني الجزائري من منظور بعض الكتابات الأجنبية (الكتابات الفرنسية أنموذجا)

Algerian national history in the perspective of some foreign writings ((French as a model

سعودي أحمد saoudi ahmed
جامعة عمار ثليجي – الأغواط – الجزائر/ Amar telidji university- laghouat- Algeria
a.saoudi@lagh-univ.dz

تاريخ الاستلام : 2020-12-17 تاريخ القبول : 2020-12-26

ملخص:

تميزت الأدبيات التاريخية الغربية عموما والفرنسية بشكل خاص عند كتابتها للقضايا المتعلقة بتاريخ الجزائر ، لاسيما تلك التي كتبت أثناء فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر بكثير من التزييف و التشويه والتركيز المتعمد على فترات تاريخية محددة وإهمال غيرها، الأمر الذي أفقد هذه الكتابات خاصية الطرح العلمي والموضوعية.

وهو ما أصبح يستدعي بعد الاستقلال سنة 1962م ولإرساء مدرسة تاريخية جزائرية وطنية التوجه وغير متأثرة بالمدارس والاتجاهات الأجنبية السائدة ، أن يتحمل المؤرخون والباحثون الجزائريون مهمة ومسؤولية إعادة النظر في كتابة تاريخهم الوطني بأكثر علمية وموضوعية، وتحريره من القراءة والتفسيرات الكولونيالية المغرضة وذلك من خلال الاعتماد على مراكز الأرشيف والوثائق التاريخية، وعبر نقد وتمحيص وغربلة كتابات المدرسة الغربية وتسليط الضوء على كل مراحل التاريخ الجزائري الضاربة في عمق التاريخ.

كلمات مفتاحية: الجزائر، المؤرخون الغربيون، الاحتلال، التاريخ الوطني، الموضوعية، الدولة الجزائرية، الشعب الجزائري، فرنسا، الوجود العثماني .

Abstract :

Western historical literature in general and French in particular was distinguished when writing issues related to the history of Algeria, especially those written during the period of the French occupation of Algeria, with many falsifications, distortions and deliberate focus on specific historical periods and neglecting others, which made these writings lose the characteristic of scientific and objective presentation.

After independence in 1962 AD, and in order to establish an Algerian historical school that is nationally oriented and unaffected by the prevailing foreign schools and trends, this necessitated that Algerian historians and researchers bear the task and responsibility of reconsidering the writing of their national history in the most scientific and objective manner, and liberating it from reading and tendentious colonial interpretations through relying on centers Archives and historical documents, and through criticism, scrutiny and sifting of the writings of the Western School, shedding light on all stages of Algerian history that struck deep in history.

Keywords:

Algeria, Western historians, occupation, national history, objectivity, Algerian state, Algerian people, France, Ottoman presence.

1. مقدمة:

مازالت الكتابات والأبحاث التاريخية حول التاريخ الوطني الجزائري في الكتابات الغربية وعلى رأسها المدرسة التاريخية الفرنسية تثير إشكاليات وتطرح مواقف مختلفة ورؤى متناقضة تتداخل فيها السياسة بالأيديولوجيا والمعرفة العلمية بالرغبة في تصفية حسابات تاريخية لم ينس فيها الغرب وفرنسا ما كانت عليه الجزائر من ندية لهذا الغرب في مراحل تاريخية كثيرة خاصة في الفترة العثمانية ، وعلى هذا الأساس يعمد الغالبية من المؤرخين الفرنسيين والغربيين إلى تشويه مرحلة الفتح الإسلامي لبلاد المغرب واعتباره احتلالا وسيطرة لا يختلف عن باقي الاحتلالات التي تعرضت لها المنطقة. كما تم اعتبار إيالة الجزائر خلال الفترة الممتدة بين 1518-1830 مستعمرة تركية لا تملك أدنى مظاهر السيادة والاستقلالية طيلة ثلاثة قرون كاملة وهو ما يتنافى مع الوقائع التاريخية، وبذلك تم نفي الدولة الجزائرية الحديثة، كما أعتبر سكانها مجرد خليط من الشعوب والقوميات التي لا تعبر بأي حال من الأحوال عن دولة ذات مقومات بشرية وجغرافية، و بالتالي حملت الدولة العثمانية بشكل كلي مسؤولية الانحطاط الحضاري والجمود العقلي والفكري وعدم الاستقرار السياسي الذي ميز فترة الثلاثة قرون التي حكم فيها العثمانيون الجزائر ،وفي السياق ذاته استبعد المؤرخون الفرنسيون مثلا طابع البعد الوطني في المقاومات الشعبية المسلحة ما بين 1832-1920 واصفين إياها بقطع الطرق واللصوصية أو المحدودة بأهداف شخصية أو تابعة لأطراف خارجية كما حدث مع مقاومة المقراني أو مقاومة الشريف بوشوشة وغيرها ، بل وحتى ثورة التحرير الكبرى (1954-1962م) من خلال ربطها بالخارج وإتهام مصر وعبد الناصر بتفجيرها وقيادتها، كما حاولوا تشويه ردود الفعل الوطنية في جميع اشكالها السياسية من أحزاب الحركة الوطنية التي كانت تدافع عن الكيان الجزائري كحزب نجم شمال إفريقيا الذي تحول إلى حزب الشعب الجزائري ، أو أي وعي ثقافي وحضاري أبانه الجزائريون ورفضهم الجزائريين لكل محاولات الإلغاء التاريخي والإدماج كما حدث مع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بعد إنشائها سنة 1931م، ووصف كل المقاومين والساسة والوطنيين والعلماء الجزائريين المصلحين بالتعصب العرقي والديني. وعلى هذا الأساس نتساءل: كيف قرأ اغلب لمؤرخين الفرنسيين تاريخ الجزائر لا سيما فتراته الإسلامية؟. وفيما تمثلت المغالطات والادعاءات التي روجوها تجاه رفض الجزائريين للسيطرة الاستعمارية، وتشبثهم بهويتهم الحضارية؟، وكيف أخذت المدرسة الوطنية بعد الاستقلال على عاتقها مهمة تفكيك، وإعادة بناء الحقائق التاريخية ومواجهة المدرسة الغربية؟.

2. مواطن تشويه التاريخ الوطني:

يمكن إبراز أهم مظاهر التشويه للتاريخ الوطني كما ورد في دراسات وأبحاث العديد من المؤرخين ا الفرنسيين وبعد تتبع وقراءة كتاباتهم في النقاط التالية:

- اعتبار الفتح العربي- الاسلامي للجزائر وبلاد المغرب العربي عموما احتلالا[1] وقرونا مظلمة[2] وغزوا استعماريا لا يختلف عن باقي الاحتلالات الأجنبية الأخرى[3] وأنه فرض على السكان بالسيف وأن الهدف منه لم يكن نشر الإسلام والعدالة بقدر ما كان يروم بسط النفوذ والهيمنة وتكديس الثروة وتشييد الامبراطوريات واستنزاف الخيرات والموارد وسبي النساء، وهو تكرار لمقولات المدرسة الاستعمارية وأبحاث المستشرقين ، ولعل ذلك ما يفسر التركيز المستمر في كتابات المؤرخين الفرنسيين في دراساتهم وأبحاثهم على أحداث تاريخية محددة كواقعة الكاهنة مع حسان بن النعمان وكسيلة مع عقبة بن نافع والهجرة الهلالية التي اعتبرها البعض منهم "غارة ذئاب". وقد كان هدف تلك الدراسات خاصة الفرنسية ترسيخ استعمارها للجزائر كونها وريثة روما في المغرب العربي وأن احتلال فرنسا للجزائر هو إعادة الأمور إلى نصابها.
- تشويه صورة بعض الشخصيات البارزة والدعوة إلى اعادة كتابة تاريخها ، فعقبة بن نافع فاتح بلاد المغرب يتحول في السرديات التاريخية الفرنسية المناهضة لفكرة العروبة والاسلام إلى مستعمر وغازي ومرتكب لمجازر بشرية[4] ،كما وصف المؤرخون الفرنسيون بعد ذلك الأمير عبد القادر بالتعصب الديني وبالطموح لحكم الجزائر بعد نهاية حكم العثمانيين انتقاما منهم وبالرغبة في الحصول على المال والنفوذ.[5]

- لا تاريخية الدولة الجزائرية حيث أنكروا قطعيا وجود الجزائر كأمة وشعب ودولة، وإن وجدت فقد تميزت بعدم القابلية للاستمرارية والديمومة، وإن اسم الجزائر لم يظهر إلا بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر عام 1830[6]. وعلى هذا الأساس كتب غوتي حول قيام وسقوط الدول في المغرب العربي ما نصه: "...إن الدول المغربية هي مثل الفقاع ينبت في ليلة، ويتعفن في صبيحة الغد"[7] وهي نفس الرؤية التي تبناها برنار عندما أكدً قائلا: " يمكن القول بدون مبالغة أن الجزائر الجزائرية لم تكن موجودة قبل وصول الفرنسيين، ولم يكن لها حتى مجرد اسم تعرف به"[8] كما تساءل المؤرخ الفرنسي شارل روبير أجرون: "هل يمكن لتاريخ الجزائر المعاصرة أن يبدأ بحسب العرف التاريخي الفرنسي في عام 1830" وأجاب: "لا ريب في أن اسم الجزائر Algérie نفسه يرجع إلى عام 1830"[9]. وقد استمر المؤرخون والسياسيون الفرنسيون في تقزيم الجزائر ودورها التاريخي، وحداثة تكوينها السياسي حتى بعد الاستقلال، ويظهر ذلك من خلال التأكيد الفرنسي المستمر على الاهتمام بعظمة فرنسا التاريخية والتلميح لها في كل المناسبات ، فعندما زار الرئيس الفرنسي جيسكار دستان الجزائر يوم 10 أفريل 1975 صرح في المطار قائلا: "إن فرنسا التاريخية تحيي الجزائر المستقلة" La France historique salue l'Algérie indépendante"، كما خصص الرئيس فرنسوا ميتران في 30 مارس 1983مجلسا للوزراء لدراسة نقطة واحدة تتعلق بالتاريخ في فرنسا، وفي المقابل كان بعض أساتذة الجامعات الجزائرية يرددون مقولات المدرسة الاستعمارية ويستخدمونها في كتاباتهم وأبحاثهم المنشورة ، وعلى هذا الأساس أصبح: " غوتييه عند الجيل الجديد أصدق رواية عن أنسابنا من ابن خلدون وأصبح أرنست ميرسييه أعلم من ابن عبد الحكم وابن حزم في التاريخ الإسلامي لمنطقتنا، كما أصبح الضابط لويس رين أفقه من الأمير عبد القادر، أما هاناتو فقد أصبح هو العمدة فيما يتعلق بالعادات والتقاليد والأنساب في بلاد زواوة وأعلم من علماء وشيوخ زواوة أنفسهم"[10] بل امتد الأمر إلى خروج بعض الشباب سنة 1980 في مظاهرات يرددون: "التاريخ في المزبلة" "L'Histoire à la poubelle" وذلك بعد أن قررت وزارة التربية إعطاء مادة التاريخ معاملا في شعبتي العلوم والرياضيات ويبدو أن بعض السياسيين الجزائريين الذين تأثروا بالسياسة الثقافية الفرنسية القائمة على مبدأ التشويه الحضاري وطمس معالم الشخصية الوطنية قد تبنوا نفس المواقف تجاه التاريخ الجزائري، ويعد فرحات عباس أبرز مثال لذلك و هو الذي لم يتوان عن نفي الوجود التاريخي للجزائر من خلال قوله: "...لو كنت اكتشفت "الأمة الجزائرية" لكنت وطنيا، ولن أخجل من ذلك كمن يخجل من جريمة، فالرجال الذين ماتوا من أجل المثل الوطني هم يوما مكرمون ومحترمون وحياتي ليست أهم من حياتهم، ومع ذلك سوف لا أموت من أجل "الوطن الجزائري" لأن هذا الوطن غير موجود ، لم أكتشفه: سألت التاريخ وسألت الأحياء والأموات، وزرت المقابر، ولم يكلمني أحد عنه"[11]. وفي نفس السياق اعتبر الأمين العام للحزب الشيوعي الجزائري موريس طوريز أن الجزائر أمة في طور التكوين[12].
- وفي سياق إهمالهم للشعب الجزائري كتب المؤرخون الغربيون والفرنسيون عن الجزائر كمنطقة جغرافية تداولت عليها الدول والشعوب من الفنيقيين حتى الفرنسيين، ولم تكن الجزائر في نظرهم "شعب" أو "أمة" أو "كيان" أو "مجتمع متماسك"، وإنما هناك قبائل متنافرة متنابزة تخوض حروب مستمرة ولا تخضعها إلا القوى الغازية كالرومان والأتراك والغربيين[13].
- وصف المؤرخون الأوربيون عموما والفرنسيون بشكل أوضح فترة الوجود العثماني في الجزائر بأنه عهد "سيطرة تركية" و"حكم أجنبي" و"احتلال خارجي"[14]، وعلى هذا الأساس وبسبب احتكار المناصب الإدارية والسياسية وسياسة الجباية والضرائب اتسع نطاق الروح العدوانية والنفور المتبادل بين العنصر المحلي و الأقلية التركية وهذا ما جسدته حركات التمرد والثورات التي تبناها الجزائريون ضد الوجود العثماني[15]. ولذلك برر الفرنسيون احتلالهم للجزائر بالقول :"..يا أصدقاءنا..إن الله لم يسمح للباشا الظالم أن يرتكب أفعاله السوداء إلا لكي يجعل من سقوطه نهاية لاضطهادكم ومصاعبكم..لذلك سارعوا واغتنموا (فرصة وجودنا). افتحوا أعينكم على ضوء الرخاء والخلاص المبعوث إليكم من عند الله"[16].
- ادعى المؤرخون والكتاب الفرنسيون أن اندلاع الثورات الشعبية ضد الوجود الفرنسي لم يكن مصدرها الروح

الوطنيـة، ولكنـه تـم بإيعـاز مـن الخـارج. وعلى هـذا الأساس ربطوا مثلا بين اندلاع ثورة المقراني والحداد، ومحي الدين بن الأمير عبد القادر بدعم من بروسيا والدولة العثمانية لهم. كما اتهموا الشريف بوشوشة، وبن ناصر بن شهرة، والشريف محمد بن عبد الله بعمالتهم للطريقة السنوسية.

- لم ينخرط الجزائريون في الثورة ضد الوجود الاستعماري – كما يزعم أولئك المؤرخون- لتحرير وطنهم والحفاظ على مقومات وجودهم المادي والمعنوي المستهدف منذ الاحتلال ولكن يثورون فقط عندما تسوء أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية ، وعليه فإن الفقر والمجاعات والبطالة عوامل محركة ودافعة باتجاه الثورة. ولعل ذلك ما يفسر لجوء الإدارات الاستعمارية المتعاقبة على تقديم مشاريع اقتصادية واجتماعية كان الهدف منها امتصاص غضب الجزائريين، وإضعاف روح الثورة والمقاومة كما حدث مع إصلاحات جاك سوستيل ومشروع قسنطينة خلال الثورة التحريرية الكبرى.
- فسر المؤرخون الغربيون والفرنسيون بشكل خاص ثورات الجزائريين وردود أفعالهم الرافضة للاستسلام والخضوع لإرادة المستعمر بالتعصب الديني وكونها موجهة ضد الآخر(المسيحي) ولا وعي وطني وسياسي وراءها ويفسرون ذلك التعصب بانخراط شيوخ الطرق الصوفية والزوايا في أغلب الثورات[17] وانطلاقا من ذلك تبنى الفرنسيون مشروعا ارتكز على مبدأ ضرورة تدجين قادة وزعماء تلك الطرق وإبطال مفعول تلك الزوايا، وتحويلها من منارات إشعاع ثقافي وعلمي وحضاري إلى أدوات لتخدير المجتمع الجزائري ومجرد أماكن للدروشة وذلك بهدف تجذير القابلية للاستعمار في نفوس الجزائريين أو بتحطيم كل المؤسسات التعليمية من مساجد وزوايا وكتاتيب من شأنها أن تحفظ للجزائريين مقومات شخصيتهم.
- التركيز على العامل الشخصي في قراءة بعض الثورات و تحليل أسبابها وعلى هذا الأساس لم تكن ثورة المقراني مثلا في نظرهم مرتبطة بالدفاع عن الكيان الوطني المغتصب، ومأساة المجاعة الحادة التي حصلت عامي 1867و1868، ولا بسعي الكنيسة لتمسيح الأطفال اليتامى الجزائريين ولا بصدور قانون كريميو الذي تم بموجبه تجنيس اليهود بالجنسية الفرنسية ولكن بمشكلة الديون التي اقترضها المقراني من بنك الجزائر ومن الثري اليهودي مسرين واضطر بسببها إلى رهن أملاكه لأداء الديون التي عليه[18].
- التركيز على بعض الفترات التاريخية من تاريخ الجزائر الطويل و إهمال البعض الآخر منها، وعلى هذا الأساس ركزت الأدبيات التاريخية الغربية على الوجود الروماني بملمحه الغربي وبعده الديني المسيحي وأهملت فترة الفتح الإسلامي والوجود العثماني مقابل التركيز على فترة الوجود الفرنسي. ويمكن تفسير ذلك بظاهرة الأدلجة و التسييس التي طغت على الكتابات الفرنسية وليس الرغبة في كتابة تاريخ الجزائر وتسجيل أحداثه وإبراز مراحله بروح علمية وموضوعية، ولعل أبرز من عبر وبدقة على هذا التوجه المؤرخ جمال قنان الذي اختصر مشروع المدرسة الفرنسية بالقول: " إن الصفة البارزة والمسيطرة في مدرسة التاريخ الاستعماري هي كونها مدرسة تحمل طابعا إيديولوجيا بالدرجة الأولى قبل الصفة العلمية"[19].
- إن أخطر ما يرتبط بالمدرسة التاريخية الفرنسية ومؤرخيها هو أنهم : كانوا يكتبون عن "شعب آخر" بنظريات تجريبية لا يهمهم تأثيرها السياسي والاجتماعي ،فلو كانوا يكتبون عن "شعبهم الفرنسي" مثلا لتغيرت لغتهم وتحركت مشاعرهم حسب بوصلة معينة ولكنهم ما داموا يكتبون عن "شعب آخر" يريدون مسخه ثم فرنسته فلا تهمهم المذاهب ولا الطوائف ولا النبرات القبلية... بل يهمهم تضخيمها وتكثيفها إلى درجة الانفجار إذا استطاعوا".[20]
- نكران الهوية الوطنية للجزائر قبل الاحتلال وطمس مآثر الشعب الجزائري وأمجاده عبر التاريخ التي سمحت له بامتلاك شخصية دولية ومكانة عالمية تعترف بها بعض الكتابات المحايدة سواء خلال فترة الحكم العربي- الإسلامي، أو أثناء التواجد العثماني في الجزائر. و لعل أبرز من عبر عن هذا التشويه المؤرخ أبو القاسم سعد الله بالقول أن الهدف من ذلك يكمن في: " نفي كينونتنا وإبراز الفوارق العرقية والجغرافية، والتشكيك في انتمائنا الحضاري، وطمس معالم مساهمتنا في التقدم البشري".[21]
- في السياق ذاته حاول الفرنسيون تشويه الثورة الجزائرية من خلال ربط اندلاعها بالواقع الاجتماعي والاقتصادي المتردي وبعلاقاتها مع الخارج واعتبار أن ما يحدث في الجزائر ما هو إلى صدى لما يحدث في تونس والمغرب، ومن خلال ربطها بالثورة المصرية وتأثير

جمال عبد الناصر، ومن خلال استخدام مصطلح "حرب الجزائر"[22] بدل الثورة الجزائرية والتركيز على الاغتيالات والصراعات الداخلية[23] وعلى محاولة تبرير الإرهاب الذي تعرضت له الجزائر بدعوى أن جبهة التحرير قد استخدمته دون التمييز بين المقاومة الوطنية والاحتلال الأجنبي[24].

- اعتبار تاريخ الجزائر من القديم إلى الحديث حلقات متتابعة من الاستعمار وسلسلة متواصلة من السيطرة الأجنبية وأن الجهاد البحري في العهد العثماني لم يكن سوى: " قرصنة ولصوصية واعتداء صادرا عن هدف مادي من أجل اكتساب الغنائم والاستحواذ على المكاسب"[25]. والواقع أن مظاهر التشويه والتزييف التي ميزت الكتابات الأجنبية تجاه التاريخ الوطني لا تختلف عن دوافع الفرنسيين من البحث في تاريخ الجزائر، والتي تتمثل في التعرف على شعب وقف في قبضة الحضارة الأوروبية والرغبة في السيطرة والاحتلال، وفي الفضول العلمي، والصراع بين الإسلام والمسيحية[26].

3. مناقشة أطروحات المؤرخين الغربيين

يتفق أغلب المؤرخين الذين تتسم دراساتهم وأبحاثهم التاريخية حول الجزائر بالموضوعية والنزاهة العلمية على أصالة الجزائر الحضارية وقدم وجودها التاريخي وما البقايا الأثرية والشواهد التاريخية القديمة إلا دليلا على ذلك، فقد عرفت قيام حضارات وشهدت تأسيس دول وسجلت رفضًا دائمًا للاحتلالات الأجنبية التي عرفتها المنطقة انطلاقا من كونها مقاومات جزائرية محلية بمكونات الجزائر في كل فترة تاريخية من نوميديا إلى إيالة الجزائر، و يمكن الإشارة إلى بعض مظاهر النقد والتمحيص والغربلة وإعادة كتابة التاريخ التي تمت بأقلام وطنية راسخة من أمثال مبارك الميلي والشريف ساحلي ووصولا إلى أبي القاسم سعدالله و جمال قنان و ناصر الدين سعيدوني وغيرهم كثير من الذين تصدروا لمواجهة أكاذيب المدرسة الغربية فجاءت كتاباتهم لتؤكد الحقائق التالية:

- لم تكن الجزائر خلال فترة ما قبل التاريخ مجرد منطقة جغرافية تعاقبت عليها الاحتلالات الأجنبية وكل أشكال السيطرة الخارجية بل عرفت قيام دول وتأسيس حضارات وتحقيق إنجازات في مختلف المجالات.[27]
- لم تكن فترة الفتح الإسلامي لبلاد المغرب العربي "عصور مظلمة" وفترة انكماش حضاري، بل شكلت نقلة نوعية في تاريخ المنطقة التي أصبحت رقما فاعلا في موازين القوى خلال تلك الفترة واكتسبت طابعها الحضاري العربي الإسلامي وبدأت تتجه نحو إقامة كيان سياسي موحد بعد تحرير المنطقة من الاحتلال الروماني.[28]
- لم يكن الوجود العثماني: "وجودًا استعماريًا بل وجود معنويا أكثر منه مادي."[29] ارتبط بحجم التحديات الداخلية والخارجية التي كانت الجزائر تتعرض لها والمتمثلة في الغزو الصليبي الذي قادته إسبانيا بعد سقوط غرناطة وتبنته الكنيسة، يضاف لذلك حالة التجزئة والصراعات الداخلية وتواطؤ بعض القوى، وعمالتها للخارج.
- وللتدليل على استقلالية الجزائر، وزيف ادعاءات المؤرخين الغربيين حول "الاحتلال" العثماني للجزائر يورد جمال قنان على سبيل المثال الحقائق التالية:

أ- لم تكن المناصب الحكومية مغلقة أمام الجزائريين الذين تولى بعضهم مناصب متقدمة في هرم السلطة وكان مقياس خدمة الدولة هو المقياس الأساسي وليس الانتماء العنصري إلى الأتراك كما رددته بعض الأدبيات التاريخية الغربية[30].

ب- لم تلتزم الجزائر بما ارتبطت به الدولة العثمانية في علاقاتها مع الدول الأوربية. ومن الأمثلة على ذلك عدم تمكن فرنسا استغلال صيد المرجان في القالة إلا بعد توقيعها لمعاهدة سياسية وتجارية مع الجزائر سنة 1619، رغم أن المعاهدة العثمانية- الفرنسية الموقعة سنة 1604 تضمنت هذا الامتياز ،كما أن الجزائر لم تقبل سريان الامتيازات التي منحتها الدولة العثمانية للدول الأوربية على الجزائر[31].

ت- عكس الكثير من المؤرخين الجزائريين و العرب و الغربيين يستخدم مصطلح "الدولة الجزائرية الحديثة" بدل "الجزائر العثمانية" أو "الجزائر التركية".

ث- لم تكن الجزائر حسب نظره خلال الفترة الممتدة بين 1518-1830 "بؤرة لقطاع الطرق وملجأ للقرصان الذين لا هم لهم سوى السلب والنهب وخنق التجارة الدولية وعرقلة قيام علاقات سلمية بين الشعوب ". فطبيعة الصراع ارتبط بمجابهة الهجمة الصليبية

والاسترشاد في تعاملها مع الممالك الاوروبية بما يقره الشرع الاسلامي.[32]

- لم ترتبط مقاومة الشعب الجزائري للاحتلال الفرنسي ورفضه لسياسة الإبادة المادية والمعنوية الممارسة ضده بالتعصب الديني والصراع الحضاري ورفض الأخر ولكنها ارتبطت بالتمسك بالاستقلال والحرية والكينونة الحضارية رغم حضور العامل الديني وارتباطه بمعظم المقاومات وثورة التحرير وتحوله إلى أداة تعبئة وتحريض على الجهاد، وما يبطل هذا الادعاء ويدحض حجج وبراهين دعاتها مظاهر الأمن والسلام والاستقرار التي كانت تعيش فيها الجاليات الأوروبية المسيحية في الجزائر وممارستها لشعائرها الدينية بكل حرية خلال فترة الاحتلال الفرنسي وقبلها يضاف إلى ذلك الدور الكبير الذي لعبه الأمير عبد القادر في تعامله مع الأسرى المسيحيين أثناء حروبه مع الفرنسيين، وحمايته لحوالي 15 ألف مسيحي بعد أحداث الفتنة الطائفية عام 1860.ولذلك يعتبره البعض رائدا لحوار الأديان وداعية للتعايش والتسامح وحقوق الإنسان[33].
- لم يكن اندلاع الثورات الشعبية القرن التاسع عشر والثورة التحريرية الكبرى بإيعاز من الخارج أو تحت تأثير الظروف الاجتماعية والاقتصادية وما ترتب عنهما من فقر وبطالة ومجاعات ولكنها كانت موقفا وطنيا نتج من رحم المعاناة، والتسلط الاستعماري ومحاولات الإبادة والاجتثاث البشري، والتشويه الحضاري الذي عانى منه الجزائريون منذ لحظة الاحتلال.[34]

4. خاتمة:

يمكن لنا أن نخلص بعد كل هذا إلى مجموعة من الاستنتاجات الهامة وهي:

من الواضح أنه لم تتأسس الأحكام التاريخية والآراء المتحيزة والجائرة التي ميزت كتابات المؤرخين الغربيين عمومًا والفرنسيين حول الجزائر وتاريخها بشكل خاص على قراءة موضوعية وأبحاث ودراسات معمقة للوثائق والتاريخ الجزائري الحقيقي ، بل كانت مستوحاة من انطباعات الرحالة الأوربيين، وتقارير قناصل الدول الأوربية، التي تحكم فيها العامل الديني الصليبي وطغى عليها الحقد والكراهية لكل ما هو إسلامي وشرقي والرغبة في تصفية حسابات تاريخية بين الجزائر وأوروبا التوسعية.

كما يتضح لنا جليا كيف خضعت الأدبيات التاريخية الغربية تجاه الجزائر خلال الفترة العثمانية سواء قبل فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر، أو بعدها لخدمة متطلبات الاستعمار الفرنسي وتبرير جرائمه المادية و المعنوية والسعي إلى تزييف الحقيقة التاريخية ولي عنقها خدمة للإدارة الفرنسية ، فكان الضباط العسكريون يكتبون التاريخ حسب رغباتهم وميولاتهم الاستعمارية في الجزائر.

وبدل التجرد من التوجهات الإيديولوجية والقناعات الدينية المزيفة والالتزام بالموضوعية والروح العلمية في قراءة التاريخ وتطور أحداثه أقحم الكتاب والمؤرخون الفرنسيون أنفسهم في دائرة الصراع الحضاري بين العالم العربي والإسلامي من جهة والعالم الغربي المسيحي من جهة أخرى.

وكل هذا لا بد وأنه يستدعى من المدرسة التاريخية الوطنية في الجزائر السيدة والمستقلة ضرورة إعادة كتابة تاريخ الجزائر بأقلام وطنية لتنقيته من الافتراءات والأخطاء وكل مظاهر التشويه والتزوير الذي لحقه بسبب الأحكام التي تبناها المؤرخون الغربيون والفرنسيون بشكل خاص والأكيد أن ذلك لا يتحقق إلا من خلال تظافر الجهود وتوفير الإمكانيات والتماهي بين جهود الأفراد من مؤرخين وباحثين في حقول المعرفة ذات الصلة ونشاط المؤسسات ومخابر البحث .

غير أنه ورغم ما تم الإشارة إليه من انتقادات وملاحظات سلبية حول الأدبيات التاريخية الغربية تجاه تاريخ الجزائر والتي تتسم في قسم كبير منها بالأدلجة والتسييس والطابع الكولونيالي فلا يعني ذلك أبدًا رفضها كليا وتبني مواقف حادة ضدها وعدم الاعتماد عليها والاستفادة منها في الأبحاث والدراسات التاريخية بل على العكس يجب علينا غربلتها وتمحيصها والاستفادة من إيجابياتها.

5. قائمة المراجع:

1- أجرون، شارل روبير، تاريخ الجزائر المعاصرة، ترجمة عيسى عصفور، (لبنان: منشورات عويدات، ط1، 1982) 207ص.

2- بن عميرة، محمد، الفتح الاسلامي لبلاد المغرب في كتابات المؤرخين الفرنسيين، (الجزائر، الدار الوطنية للكتاب، ط1، 2014) . 259 ص

3- بودهان، محمد، في الهوية الأمازيغية للمغرب، (المغرب: منشورات تاويزا، ط2، 2013)، 384 ص

4- بوعزيز، يحي، الإتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوصه(1912-1948)، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، 1991) 142ص.

5- بوعزيز، يحي، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، (الجزائر: منشورات المتحف الوطني للمجاهد، ج1، ط2، ،2009) 368 ص.

6- بوعزيز، يحي، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية (الجزائر:ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، 1999) 422ص.

7- سالم، عبد العزيز، تاريخ المغرب في العصر الاسلامي (مصر: مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1999) 900ص.

8- سعد الله، أبو القاسم، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، القسم الأول، ط2، 1981،) 407ص.

سعد الله، أبو القاسم، قضايا شائكة. أحاديث في شؤون الفكر والأدب والتاريخ (لبنان: دار الغرب الإسلامي، ط2، 2005) 161ص.

9- سعد الله، أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، (الجزائر: طبعة خاصة، دار البصائر، ج 1، الجزائر، 2007) ص.

10- سعد الله، أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930، (لبنان: دار الغرب الإسلامي، ج2، ط4، 1992) 494 ص.

11- سعيدوني، ناصر الدين، الجزائر منطلقات وآفاق، مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، (لبنان: دار الغرب الإسلامي، ط1، 2000) 520ص.

12- شنيتي، محمد البشير، أضواء على تاريخ الجزائر القديم (الجزائر: دار الحكمة، ط1 ، 2005). 215ص.

13- غانم، محمد الصغير، مواقع وحضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب (الجزائر: دار الهدى، ط1، 2003). 224ص.

14- قاصري، محمد السعيد، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر (الجزائر: دار الارشاد للنشر والتوزيع، ط1، 2013) 704ص.

15- لقبال، موسى، المغرب الاسلامي (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، 1981) 229ص .

16- هنري تشرشل، شارل، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة أبو القاسم سعد الله (تونس: الدار التونسية للنشر، ط1، 1971) 334ص.

17- وزناجي، مراد، حديث صريح مع أ.د. أبو القاسم سعد الله في الفكر والثقافة واللغة والتاريخ، (الجزائر: منشورات الحبر، ط1، 2008) 197ص.

18- وزناجي، مراد، مفهوم التاريخ عند أبي القاسم سعد الله، (الجزائر: عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ط1، 2015) 343ص.

- المجلات:

1- بن عميرة، محمد، حول منهج كتابة المؤرخين الفرنسيين لتاريخ الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، (الجزائر: مجلة الدراسات التاريخية، العدد 5، معهد التاريخ، جامعة الجزائر،1988): 69-80.

2- سعيدوني، ناصر الدين، نحو نظرة جديدة لتاريخنا الجزائري (الجزائر: مجلة الثقافة، العدد84، نوفمبر-ديسمبر1984) 39-54ص.

3- شرشار، عبد القادر، شخصية الأمير عبد القادر من منظور الأخر، (الجزائر: مجلة انسانيات، العدد 22، 2003) 19-31.

4- الشيخ، أبو عمران، حرب الجزائر في نظر المؤرخين الفرنسيين (الجزائر: مجلة المؤرخ،العدد 22، 1986):123-129

5- قاسم نايت بلقاسم، مولود، مفاهيم وصيغ خاطئة عن تاريخنا، (الجزائر: مجلة التاريخ، العدد 22، المركز الوطني للدراسات التاريخية،1986): 37-69.

6- قنان، جمال، مدرسة التاريخ الإستعماري بين الإيديولوجية والموضوعية حول بعض قضايا تاريخ الجزائر المعاصر (الجزائر: مجلة الدراسات التاريخية، العدد 5، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1988):128-137.

- المراجع الأجنبية:

1- Bernard. A,L'Algerie,(Paris: 1930).

2- .Gautier, E.le Passé de l'afrique du nord; les siecles obscurs; (Paris. Payot. 1976.) .

3- Gilbert Meynier.. Histoire intérieure du FLN 1954-1962.(Paris: Fayard. 2002).

4- H.D.de Gramont. Histoite d'Alger sous la domination turque 1515-1830. (Paris:1887).

5- Sevillia. Jean. Les vérités caches de la Guerre d'Algérie.(Paris: librairie arthéme Fayard. 2018).

6- Thorez Maurice: Ouvres. (Paris: Ed. Soc. Livre III.t. VI.).

7- Tripier. Philipe. Autopsie de la guerre d'Algerie en France.(Paris: 1972).

7. هوامش:

[1] محمد، بن عميرة، **الفتح الاسلامي لبلاد المغرب في كتابات المؤرخين الفرنسيين**، (الجزائر، الدار الوطنية للكتاب، ط1، 2014) ص 18.

[2] E.F.GAUTIER.**le Passé de l'afrique du nord; les siecles obscurs**; (Paris. Payot. 1976.) p10.

[3] محمد، بودهان، **في الهوية الأمازيغية للمغرب**، (المغرب: منشورات تاويزا، ط2، 2013)، ص 19

[4] محمد، بن عميرة، **حول منهج كتابة المؤرخين الفرنسيين لتاريخ الفتح الإسلامي لبلاد المغرب**، (الجزائر: مجلة الدراسات التاريخية، العدد 5، معهد التاريخ، جامعة الجزائر،1988)ص 73.

[5] للتعرف على مواقف بعض المؤرخين والباحثين الفرنسيين من الأمير عبد القادر أنظر: عبد القادر، شرشار، **شخصية الأمير عبد القادر من منظور الأخر**، (الجزائر: مجلة انسانيات، العدد 22، 2003) ص ص 19-31.

[6] ناصر الدين، سعيدوني، **الجزائر منطلقات وآفاق، مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية**، (لبنان: دار الغرب الإسلامي، ط1، 2000) ص 185.

[7] E.F.Gautier: **Le passé de l'Afrique du Nord**. P 10.

[8] BERNARD AU **L'Algerie**,(Pari: 1930) P 112.

[9] شارل روبير، أجرون، **تاريخ الجزائر المعاصرة**، ترجمة عيسى عصفور، (لبنان: منشورات عويدات، ط1، 1982) ص 9.

[10] مراد، وزناجي، **مفهوم التاريخ عند أبي القاسم سعد الله**، (الجزائر: عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ط1، 2015) ص 121

[11] يحي، بوعزيز، **الإتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوصه(1912-1948)**، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، 1991) ص 45.

[12]Maurice Thorez: **Ouvres**. (Paris: Ed. Soc. Livre III.t. VI.) Pp174-186.

[13] أبو القاسم، سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، (الجزائر: طبعة خاصة، دار البصائر، ج 1، الجزائر، 2007)ص 37.

[14] H.D.de Gramont. **Histoite d'Alger sous la domination turque 1515-1830**. (Paris:1887).p 12.

[15] سعيدوني، **الجزائر منطلقات**، مرجع سابق، ص 174.

[16] لقراءة نص البيان الذي وزعه الفرنسيون عشية الاحتلال على الجزائريين، انظر: أبو القاسم، سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930**، (لبنان: دار الغرب الإسلامي، ج2، ط4، 1992)ص 422.

[17] يحي، بوعزيز، **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية** (الجزائر:ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، 1999) ص ص 316-317

[18] يحي، بوعزيز، **ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين**، (الجزائر: منشورات المتحف الوطني للمجاهد، ج1، ط2، ،2009) ص ص 234-235.

[19] جمال، قنان، **مدرسة التاريخ الإستعماري بين الإيديولوجية والموضوعية حول بعض قضايا تاريخ الجزائر المعاصر** (الجزائر: مجلة الدراسات التاريخية، العدد 5، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1988) ص ص 129-130.

[20] مراد، وزناجي، **حديث صريح مع أ.د. أبو القاسم سعد الله في الفكر والثقافة واللغة والتاريخ**، (الجزائر: منشورات الحبر، ط1، 2008) ص 137.

[21] أبو القاسم، سعد الله، **قضايا شائكة. أحاديث في شؤون الفكر والأدب والتاريخ** (لبنان: دار الغرب الإسلامي، ط2، 2005) ص 134.

[22] Meynier. Gilbert. **Histoire intérieure du FLN 1954-1962**.(Paris: Fayard. 2002). P 254.

[23] أنظر مثلا:

Philipe. Tripier**. Autopsie de la guerre d'Algerie en France**.(Paris: 1972)

و

*Jean. Sevillia.**Les vérités caches de la Guerre d'Algérie**.(Paris: librairie arthéme Fayard. 2018).*

[24] أبو عمران، الشيخ، **حرب الجزائر في نظر المؤرخين الجزائريين** (الجزائر: مجلة المؤرخ،العدد 22، 1986) ص 127،

[25] ناصر الدين، سعيدوني، **نحو نظرة جديدة لتاريخنا الجزائري** (الجزائر: مجلة الثقافة، العدد84، نوفمبر-ديسمبر1984) ص 43.

[26] أبو القاسم، سعد الله، **أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر** (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، القسم الأول، ط2، 1981،) ص ص 17-19

[27] محمد البشير، شنيتي، **أضواء على تاريخ الجزائر القديم** (الجزائر: دار الحكمة، ط1 ، 2005) ص ص 135-196 و محمد الصغير، غانم، **مواقع وحضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب** (الجزائر: دار الهدى، ط1، 2003) ص ص 22-45

[28] أنظر: موسى، لقبال، **المغرب الاسلامي** (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، 1981) ص 135، و عبد العزيز، سالم، **تاريخ =المغرب في العصر الاسلامي** (مصر: مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1999) ص 25.

[29] جمال، قنان، **قضايا ودراسات**،مرجع سابق، ص 31.

[30] المرجع نفسه، ص 32.

[31] المرجع نفسه، ص 33.

[32] قنان، **قضايا ودراسات**، مرجع سابق، ص 34

[33] شارل، هنري تشرشل، **حياة الأمير عبد القادر**، ترجمة أبو القاسم سعد الله (تونس: الدار التونسية للنشر، ط1، 1971) ص 147.

[34] محمد السعيد، قاصري، **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر** (الجزائر: دار الارشاد للنشر والتوزيع، ط1، 2013) ص ص 648-652.